شهود سفينة غارقة

المشهد من الخارج :

تغرب شمسك الكسيرة الشعاع في قرارة المحيط ،
يزعم العرّاف أن فجرك المسوخ مات
ـ من قبل ان يولد مـات ـ
وان ابناءك ـ يا للعار ـ حين غلّتهم الرتابة
شدّوا الرحال ،
خلّفوك شيخة ثقيلة الارداف والخطى ، ملعونة السيمـاء
وافردوك في العراء
قعيدة ، تجترّ صمت الموت والكآبة
وفوق سطح اليمّ تسبح الطحالب المزركشة
تختال في مسيرة الديدان ، تلعق الغبار والاوحال،
تحجب النسيم عن رئاتنا المهترئة
ولم نعد ندري ،
ـ نحن الذين فيك ما زلنا ،
يشدّنا التراب ، والاواصر القديمة الاسباب ،
والحرف اللعيـن ـ
هـل يقتلنا الاسى المهين ؟
ام تقتلنا الدهشة فيك والغرابة ؟!

★ ★ ★

صوت اول :

ارفض ان يكون عمرنا القصير مأتما
يا طول ليلنا الذي يظل لم يثقبه بعد
لعل كوة وحيدة تضيء
نسمة تهب ،
لفظة تشعل في عروقنا رمادنا القديم
ويلاه من الفاظنا الباردة المحنّطة
تقاذفتها الريح في وجوهنا ،
حتى اذا ما أختنقت دوّامة الغبار
تساقطت الفاظنا على الورق .
سطور عـار !
اخاف من لقائنـا
من لحظة تجمعنا ..
نملأها شكاية ، ورغبة قعيدة ، مغتربة
ساعتهـا ،
ويصبح الحديث سأما
ويصبح التذكار ندمـا
ويصبح الوجود عدمـا
لكننا نظلّ في رتابة الاشياء، نمنح الاشياء من صميمنا
لعلّ صوتنا القديم ان يعـود
وينسف الحواجز الفلاظ والمقاعد المرتبطة
وعندما يساقط الاسى ،
ولا نطيق ان نرى وجوهنا ،او نسمع النعيب
في افواهنا .
نرحـل ..
قبل ان يأخذنا الدّوار ، قبل ان يسحقنا الدمار ،
قبل ان يفجأنا النهار ..
وعندمـا ...!

★ ★ ★

صوت ثان :

تأمّلونـي ،
صار لي وجهان : وجه بومة، ووجه ثعلبان
وها أنـ .. ما زلت طافيا
على دموعكم أجوس ، اعبر الكهوف والخيران
ممتشقا لساني المذرّب الفصيح ..
منطلقا من ربقه الزمان والمكان
وساكبا في سمعكم اكذوبة الامان
امدّ كفيّ استغاثة ، او محسنا ، سيّان !
فليس ثمّ من يقول : كيف ؟ او لمه ؟
وكلنا في غمرة الطوفـان
تنوشنا سنابك الاحزان !

★ ★ ★

صوت ثالـث :

« يهتزّ كلّ شيء :
ـ الشارع يهتزّ
ـ العالم يهتزّ
ـ الافق المحدودب فوق مدينتنا يهتزّ
ـ تهتزّ « التفعيلة » سقط في ايقاع الزمن القاتـل بالضوضاء
نخرج مذعورين ، نفتّش عن مأوى ، نتماسك ،
نهوى ، نتصادم ، نقعى ، نتساند ، نسقط
مذعورين ، يدحرجنا الرعب الوحشي،نخوض وحول الموت ، ونهوي :
الح ثمّ قبائل تاتي وتروح ،
بيارق ترتفع وتطوى
وجنودا تفترش الساحة ، تغفو فوق جياد كانت
بالامس تجمجم حتى اتعبها الصهال الكاذب ،
سكنت تحت غطاء الليل الكابي مقرورة
وتغيب الصورة
تهتـزّ ،
فتنطمس الاشياء ، وترتطم اشياء ، ولا يبقى الا صوت مشروح
صوت ما زال يئز
هذا الصوت الضائع في البرّية
يرثي فينا كونا يهتزّ !

★★★

صوت اخير :

لا ،
لا تحاولوا التقاطه ،
مضى ، تبددت خيوطه ، التقى بغير سمعكم
ولن يعـود ..
لكنني اشهد : كان شاحبا ، وكان
ينسلّ في مرثية قديمة
لمحت في سطورهـا « غرناطة » الشهيدة
تسوق للقاء فارسا وفارسا
ويسقط الابطال في حومتها قصيدة ..!
اشهد : كان في شعاعة المساء
محدّرا دموعه الساخنة المهمومة
وقبل ان يغيب ، رفّ مرّة ومرتين
لعلّه يبحث فينا عن صدى
لعلّه كان ينادي ارضه المفقودة
وحين غاب ، كان باهتا ، وكان يائسا ..
ويطبقُ الاسى !

القاهرة

فاروق شوشة